

المحاضرة العاشرة

الخطبة رقم ٢٠٣

ومن كلام له عليه السلام في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ
مَمَرِكُمْ لِمَقَرِكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ حَيْثُ مَا يَخْلُمُ أَسْرَارَكُمْ
وَأُخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ
فَفِيهَا اخْتَبَرْتُمْ وَلِخَيْرِهَا خَلِيتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَتِ النَّاسُ
مَاتَكَ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لَكَ آبَاؤُكُمْ فَكَبَّرُوا بِخُضْرٍ
يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَخْلِفُوا كَلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

معاني المفردات

- ١- مجاز: ممر، وجاز المكان، إذا سار فيه وعبر.
- ٢- القرار: من قر، إذا ثبت واستقر بالمكان.
- ٣- هتك الستر: أزاله من مكانه بحيث بدا ما وراءه.
- ٤- هلك: مات.
- ٥- القرض: ما تعطيه لغيرك من المال شرط أن يرده أو مثله.
- ٦- تخلصوا: مضارع خلف الرجل الشيء، بالتشديد، أي تركه بعده،
- ٧- فرضاً: واجباً

شرح النص

(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٌ، وَالْآخِرَةُ دَارٌ قَرَارٌ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ)

المجاز: ما يُجاز به من مكان لآخر، وهو العبور من الحقيقة إلى غيرها.

يقول الإمام سلام الله عليه إنما الدنيا دار عبور وممر إلى الآخرة، والآخرة هي دار الاستقرار، فخذوا أيها الناس من دار الدنيا إلى دار الآخرة الأجر والثواب بالتزود من الأعمال الصالحة.

(وَلَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ) لا تهتكوا أسراركم أمام الله بإتيان المعصية لأنه

سبحانه يعلم أسراركم وضمائركم وقلوبكم، فالإنسان إذا عصى الله انكشف باطنه وهتك ستره عند الله تعالى لكنه سبحانه لا ينظر إليها نظر عقاب وعذاب إلا إذا هتكوا الستر بإتيان المعصية أي أن الله سبحانه يستر على الإنسان ما دام ساتراً لذنبه فإذا عصى هتك ستره بنفسه.

(وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَيْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِفْتُمْ)

دعوة إلى الزهد في الدنيا والإعراض عنها بقلبه عن زينتها وما فيها، وهو في دار الدنيا قبل أن يخرج عنها بالموت، أي فلتكن قلوبكم مربوطة بالآخرة (موتوا قبل أن تموتوا)، وبين الإمام ع سبب ذلك بأننا خلقنا للاختبار والامتحان في الدنيا لكننا مخلوقين للآخرة والعاقل من ينظر إلى الهدف فلا يشغله شيء عن الوصول إليه.

(إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ، وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ) منطلق الناس أن الإنسان إذا

مات قالوا ما ترك خلفه من أولاد ومال وميراث، بينما تقول الملائكة ما قدم من عملٍ وواجبات، فمنطلق الناس المادة والحسابات الدنيوية، بينما منطلق الملائكة القيم والمثل والأجر والآخرة. ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين ع قال: لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ؛ الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ.

(لِلَّهِ أَبَاؤُكُمْ) كلمة تستعمل للتضجر - كما في النص الحالي- وأحياناً للمدح، وأصلها: من كان

مطيعاً لله يجب أن يعمل بما أمر به وإلا فكيف يخالفه.

(فَقَدِمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا، وَلَا تَخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ) قدموا بعضاً مما تملكون لينفعكم

في الآخرة فإن تفلوه فهو قرض تقدموه في الدنيا وتأخذونه في الآخرة أضعافاً مضاعفة، ولا تبقوا كل أموالكم في الدنيا وتعملون فقط من أجلها وتتركون الآخرة فيكون عليكم ذلك وزراً وعقاباً.

ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين ع قال: إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ،

وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَأَبْنُوا لِلْحَرَابِ.